

تماهي السحري والعجائبي في ألف ليلة وليلة

فتحي خيرة

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة جيلالي ليابس سيدي عباس

ملخص:

جاء الاهتمام بألف ليلة وليلة بوصفها جزءا من التراث الشعبي الضخم والمتنوع لما يضم من صور وأخيلة وكنوز معرفية كبيرة، وفنون وممارسات شعبية متنوعة، تجلت فيها حضارة الشرق وثقافته .

تميزت حكايات ألف ليلة وليلة في معظمها باتخاذ الكائنات الميتافيزيقية و الميثولوجية شخصيات لها، تقوم بأدوار وتصنع الحدث العجائبي لتتجه إلى غايات فنية مرسومة، وتتصل بهذه الخاصية ، خاصية أخرى متمثلة في طغيان السحر .

الكلمات المفتاحية : العجائبي – السحر - الثقافة الشعبية -الوسائل السحرية.

العجائبي مقاربة معرفية:

يتميز الحكي العجائبي بتداخل العناصر الطبيعية وفوق الطبيعية في النص الواحد ، فيخلق نصا تخيليا يخلق بالقارئ إلى عالم لا تحكمه نمطية الأفكار أو منطقية الواقع ، هذا العالم الذي يضع القارئ في دوامة من التيه ، في محاولة تفسيره ما هو طبيعي أو غير طبيعي ، فما المقصود بالعجائبي ؟ وكيف تماهى مع تيمة السحر في حكايات ألف ليلة وليلة ؟

1- العجائبي لغة :

يندرج لفظ العجيب ضمن الجذر اللغوي (ع ج ب) الذي يحيل بدوره على صيغ ومشتقات متنوعة : عجب ، عجيب ، عجاب ، عجا ، يعجب.... ورد في لسان العرب لابن منظور : " العَجَبُ والعَجَبُ ، إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده ، وجمع العجب أعجاب " ¹

وجاء في (محيط المحيط) للبستاني "العجب : انكار ما يرد عليك واستطرافه وروعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والتعجب انفعال نفسي عما خفي سببه" ² أما الخليل الفراهيدي في معجمه العين فذكر : " أما العجيب فالعجب وأما العُجاب فالذي جاوز حد العَجْب مثل الطويل والطوال " ³

نلاحظ أن لفظ العَجَب قد دار مفهومه اللغوي في فلك التردد والحيرة والدهشة التي يصاب بها الإنسان عند استعظامه لشيء خارج نطاق المألوف والمتعارف عليه ، أي أنه في معظمه انفعال نفسي تجاه الظواهر الخارقة للعادة ، المثيرة للحيرة فيحاول كرد فعل لذلك التعجب فهمها واستيعابها .

وحول هذه النقطة يجب أن نأخذ بعين التقدير الفهم الخاص ، والمختلف للحوادث ، التي قد تسبب القطيعة مع ما هو مألوف ، وما تقوم به الإحساسات ، التصورات الذاتية " في هذا المضممار من إضافات تجعل من العجب تجربة ذاتية ، ولذلك فإن ما يكون عجا عند بعضهم ، قد لا يكون عجا عند غيرهم ، ولذلك ما هو عجب عند قوم قد لا يكون عند آخرين " ⁴ ومنه فقد انحصر مفهوم " العجيب " في المعاجم اللغوية القديمة في نطاق الانفعالات النفسية للإنسان جراء تعرضه لكل ما هو خارج عن المألوف والطبيعي .

كما أن مصطلح العجائبي لم يرد في المعاجم العربية القديمة ، إنما تردد لفظ العجب ومشتقاته (العجب ، العجيب ، العجا..) في معظمها ، فمصطلح العجائبي هو الذي يشمل كل هذه المصطلحات ويحاول أن يبحث في خارطة المصطلحات الأخرى التي تحمل معه دلالات جديدة ، فهو قطرة من بحر متخيل .

2- العجائبي اصطلاحا:

تعددت مدلولات مصطلح العجائبي وهذا راجع إلى تصور كل ناقد له ، فهناك من يجعله مرادفاً للمدهش ، أو للخارق ، والبعض من يجعله مرادفاً للوهمي وغير الواقعي ، لذلك يصعب على الباحث أن يحيط بهذا المصطلح أو أن يحاول تحديد تعريف جامع مانع له.

نستهل حديثنا بتعريف أخذ أبدع فيه الناقد "كمال أبو ديب" للعجائبي قال فيه هو الأدب: "الذي يجمع فيه الخيال الخلاق مخترقا حدود المعقول واللامنطقي والتاريخي والواقعي ومخضعا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي ، لقوة واحدة فقط ، هي قوة الخيال المبدع المبتكر الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحرية المطلقة ، يعجن العالم كما يشاء ،...إنه الخيال جامحا ، طليقا ، منتهكا"⁵، وهو ما اتفق فيه مع الناقد عبد الملك مرتاض حين ذهب إلى الإقرار بأن العجائبي هو: "كل كتابة تشتمل على كائنات أو ظواهر خارقة تدمر سكونية العالم الطبيعي الثابت وتحكي أسرار فوق الطبيعي دون مكابح ، مستغلة رصيد الخوف والعنف الكائن في كل إنسان"⁶، بمعنى أنه يمكن النظر للعجائبي على أنه نافذة نطل من خلالها على دوافع النفس البشرية ، وما يشعر به الفرد من انهزامات وخوف ورعب دائمين تجاه نفسه وعالمه الخارجي، كما أنه قد وضح في موضع آخر أن مصطلح العجائية يعد مصطلحا جديدا في اللغة العربية ، كما فرق بين مصطلحي العجيب والعجائبي ، حيث يقول: "يعد مصطلح العجائية من اللغة الجديدة ، والعجائبي غير العجيب ، وكأن معنى العجيب لا يفي بالحاجة ، فجاء به جمعا ، وهو يمكن أن يكون ترجمة لمصطلح merveilleux الفرنسي"⁷

أما الناقد الضليع بهذه التقنية السردية شعيب حليفي، فقد فضل مصطلح الفانتاسيك على هذا النوع من الكتابة السردية ، وقد عرفه بأنه " الشكل الجوهري الذي يلجأ إليه التعجيب ، كما يمثل مكتوبا يقدم شخوصا وظواهر فوق طبيعية ، يمتزج فيها الطبيعي بفوق الطبيعي ، بطريقة مقفلة تجعل المتلقي يتردد بين تفسيرين للأحداث ، ويشكل هذا التردد العنصر الأساسي للفانتاستيك من خلال بحثه عن مفاجئات لعالمنا العادي والمألوف"⁸ فالعجائبي إذن مرتبط بالحالة النفسية التي تصيب الإنسان عند مصادفته لشيء غير مألوف، وردة فعله تجاه ما يتلقاه من ظواهر فوق طبيعية .

يقوم النص العجائبي على الجمع بين المتناقضات ، بين عالم الواقع وبين عالم الخيال ، وبين الحقيقي الواضح و الغامض المبهم ، وبين كل ما هو سحري ومتخيل ، فكيف استطاع العجائبي أن يستثمر السحر في نصوصه؟

السحر في الثقافة الشعبية :

كان السحر منذ القدم علم الإنسان الأول كما يؤكد ذلك جيمس فريزر، وهو الأصل في المعتقدات الشعبية وما يلحق بها من ممارسات وطقوس ، يرتبط ذلك بتلك التصورات والأفكار التي تؤمن بها الطبقات الدنيا من المجتمع ، والتي تتعلق بكل ما له صلة بالجانب الاجتماعي كالحب والزواج ، والاقتصادي كفتح الكنوز ، والانتقال إلى مدن الجن والخوارق

، والاعتقادي كاستطلاع الغيب والاتصال بعالم الجن والأرواح الخفية، فالشعوب القديمة حسب فرويد⁹ ترى العالم مسكونا بما لا يحصى من الكائنات الروحية التي تفسر الخير أو الشر وتنسب إلى هذه الأرواح والجن التسبب في حوادث الطبيعة ولا تعتبر الحيوانات والنباتات فحسب بل أيضا الأشياء غير الحية في العالم مسكونة بها⁹ ، وفي ذلك إشارة من فرويد إلى عراقية الممارسات السحرية لدى الشعوب القديمة .

كثيرا ما نجد أن السحر مرتبط بالنفوس المملوكة للطاقات التي تستطيع أن تؤثر بها في عناصر الكون ، ويكون هذا التأثير ذاتيا أو بالاستعانة بقوى أخرى ، ولهذا يقسم ابن خلدون النفوس الساحرة تبعا لذلك إلى ثلاث مراتب "فأولها المؤثرة بالهمة من غير آلهة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر ، والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات ، وهو أضعف رتبة من الأول (السحر)، والثالث تأثير في القوى المتخيلة ، يعتمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها ، ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ، ثم ينزلها إلى الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه ، فينظر الراؤون كأنها في الخارج ، كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور ، وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبة¹⁰ وواضح أن لكل قسم من هذه الأقسام خصائصه وطبيعته.

يستند السحر على أساس التأثير النفسي وعلى القوى المخيلة ، وتحركه ثقة الإنسان في قدرته على تحقيق رغباته ، لأن الفاعلية السحرية تتخذ مجالا للتأثير في خيال الإنسان وتصوراتها التي توهمه برؤية وفعل أشياء لم يفعلها ، بذلك يكتسب السحر سمته في تشويش النظام وتزييفه ، "إنه تزييف نظامي لقانون الطبيعة ، وهو في الوقت ذاته طريقة سلوك خادعة ، إنه علم كاذب كذلك عقيم"¹¹ بيد أن وظيفته لا تتعدى الخداع والإيهام الكاذب.

صحيح أن السحر يقوم على الكذب والخداع ولا أسس علمية تثبته، غير أن وجوده كعلم وفن فاعل ، أمر لا شك فيه عند الأمم السالفة ، أقرته الأديان السماوية كالتوراة والإنجيل ونطق به القرآن الكريم .

فالسحر بوجه عام قديم قدم الحضارة الإنسانية ذاتها ، وهو ثمرة من ثمرات الحضارات الضاربة في الزمن اشتركت فيه الأمم الشرقية القديمة من بابليين وفرس وهنود وإغريق وقدماء المصريين ، أما العرب فقد عرفوا الكهانة والتنجيم اللذان لا يعدان في الحقيقة إلا مظهرًا من مظاهر السحر والشعوذة.

إن هذا الأثر السحري العجيب المتوارث جيلا عن جيل راسخ عند العامة فهي توظفه في أغراضها الحيوية المتعلقة بالزواج والبحث عن الكنوز واستطلاع الغيب ، لذا فقد وجد سارد ألف ليلة وليلة في هذا الأثر منفذا ينسج حوله الكثير من الحكايات العجائبية التي حكها شهرزاد في لياليها.

الحكاية السحرية والعجائبي:

يقترّب الأدب العجائبي من أشكال أخرى قريبة منه ، يتماس معها ويستفيد منها ، لاسيما أن هذه الأشكال "بما تحمله من رؤى وأحداث تبعث على الحيرة والتردد ، بل تلقي بمثلها في بحر لُجِّي لا قبل له بأواجه العاتيات ، وهو غير آبه بالأهوال ، مستمتع بالمغامرة ، "12 أين يجد المتلقي نفسه أمام عوالم واقعية اخترقها الخيال ، ومن بين هذه الأشكال التي استطاع العجائبي الإفادة منها الحكاية السحرية ، فقد "استثمر الأدب العجائبي قديما علوم السحر والتنجيم ومعطياتهما بشكل يجعل بعض الأحداث تجد مسوغاتها في السحر، كما تجد لها تفسيراً عقلياً ، وقد أعطاه أبعاداً دلالية جديدة ، "13

إن استغلال العجائبي للسحر يختلف اختلافاً جذرياً بين القديم والحديث ، "ذلك أن العجائبي القديم وباستغلاله لعلمي السحر والتنجيم يجعل بعض الأحداث تجد مسوغاتها في السحر، كما يجد لها تفسيراً عقلياً، ويقوم هذا الاستغلال على قراءة الطلاسم والتعويذات واستحضار الجن لإنجاز سخرات خارقة "14 كالتى نجدها في حكايات ألف ليلة وليلة ، والتي لا تكاد تخلو أي حكاية منها من وجود السحر .

بينما شهد العصر الحديث تقدماً علمياً كشف "عن أسرار الكون الغامضة، أخذ السحر أو الإيمان بالقوى الخارقة يتراجع ولكن العلم لم يبلغ منتهاه والإيمان بالقوى الخارقة لم يأفل بعد" 15 ، فعلى الرغم مما حققه العلم من اكتشافات ظلت لزمن طويل مجرد أحلام تراود البشرية ، وكذلك حتكه لأسرار ظلت غامضة لأمد طويل ، لكنه في المقابل يقف عاجزاً أمام أسرار أخرى تخص الكون والنفس البشرية مازال يلفها الغموض، وهو ما يسمح بتسلل التفسيرات الميثولوجية وفوق الطبيعية، وهنا يجد العجائبي مصوغاً لوجوده، حيث أنه "يزاوج بين خلق أسرار مغايرة صادمة ، ومدهشة ، مقابل فضح أسرار أخرى بديهية "16 مستعينا بأدوات كالسحر.

كما أن توظيف العجائبي للسحر حديثاً، لا يُرجى منه إدخال القارئ في متاهات غيبية فقط ، لكنه "وسيلة يرجى من ورائها تمرير خطاب ما من جهة ، وتفسير هذا الجسر ، انطلاقاً من الكشف عن هشاشته والتعرية عن فضائحه التي لا تتماشى والفكر العلمي الثاقب من جهة أخرى ، فعلاقة السحر بما هو فوق طبيعي هي علاقة تماس ، رغم أن القارئ قد يعارض كل من يؤمن بوجود السحر تجاه واقع يعتبره مثل جزء أصلي من النظام الطبيعي للأشياء"17.

إن إدراج الحكاية السحرية ضمن المجالات القريبة من العجائبي يتأسس من العلاقة التي تجمع بينهما ، فالحكاية السحرية تملك من المقومات ما يجعلها تقترب من حدود العجائبي ، وهذا ما دفع بالنقاد إلى إضافة السحري إلى العجائبي ، حيث نجد شعيب حليفي قد قارن في معرض حديثه عن علاقة الفانتاستيك بالمجالات القريبة منه، بين الحكاية السحرية والعجائبي مستنداً إلى طرح لوي فاكس L.Vax في نقاط أهمها:18

- الاختلاف بين ما هو سحري وما هو فانتاستيكي19 يتجلى في أن المحكي الفانتاستيكي يمثل عالماً حقيقياً فيه شخوص مثلنا، يوجدون فجأة أمام اللامفسر ، بينما الحكاية السحرية تتموضع خارج الحقيقي : مرتع المستحيل.

- يقع الحدث الفانتاستيكي في عالم حقيقي يخضع للامتساخات والتحويلات ، بينما يقع الحدث السحري الخارق في عالم مستحيل غير حقيقي، بكائنات غير حقيقية .
- يتغذى الفانتاستيكي من صراعات العالم الحقيقي والممكن ، بينما يتغذى السحري بدوره من تصادم الاستيهامات داخل المخيلة .
- يلتقي المحكي السحري مع العجائبي في اعتمادهما على التضخيم وشحن الكلمات والقارئ برعب وحيرة ، ففي الحكايات السحرية يتحد القارئ والمؤلف بعقد ، بينما المؤلف في الفانتاستيك عليه أن يفرضه على القارئ.
- يغيب في الحكايات السحرية (التردد) -وهو سمة ضرورية في المحكي العجائبي- مادام القارئ قد تهيأ منذ البداية ، غير أن ما هو أمامه ليس سوى حكاية سحرية كلها خوارق وأحداث فوق طبيعية سحرية.
- توجد في المحكي السحري رغبة في خلق نهاية سعيدة، بينما تدور المحكيات الفانتاستيكية في جو من الرعب تنتهي بحدث غير سعيد يستتبعه الموت أو الاختفاء أو إعدام البطل.

بعد عرض شعيب حليفي لنقاط الائتلاف والاختلاف بين المحكيين العجائبي والسحري، خلص إلى أن " بعض مكونات النص الفانتاستيكي هي مع خصوصية محددة، نفسها بعض مكونات الحكاية السحرية التي انتعشت في ظروف تاريخية، بعكسها للبنية الفكرية السائدة ، وإنتاجها لأدب ظل بعيدا عن الواقعي ، وقريبا من الفانتاستيكي "20 وهو ما ينطبق على حكايات ألف ليلة وليلة والتي لا تكاد تخلو أي حكاية من وجود السحر والتي جاءت ملائمة لظروف فكرية وثقافية للشعوب السالفة والتي كانت تلجأ إلى السحر لخلق سعادة سهلة، وللتحليق في سماء صافية بلا غيوم .

تماهي السحري والعجائبي في حكايات ألف ليلة وليلة :

كتاب ألف ليلة وليلة ، عمل أدبي خاص، يمتاز بغنى لا حدود له بالمواد والأفكار والشخصيات وصيغ السرد القصصي كل هذا صيغ في جو أسطوري عجيب ، فالليالي تعد من الأركان الأساسية في الأدب العالمي، لما تضمه بين طياتها من حكايات لا تعباً بحدود المكان والزمان، فهي تعود إلى بلدان وعصور كثيرة، وقد اختلف في أصل الكتاب وتنازع المؤرخون حول نسبه فمنهم من نسبه إلى العرب مستدلين بما جاء في الليالي من مظاهر الحضارة العربية ، وذكر الخلفاء الراشدين ، بالإضافة إلى ذكر المناطق العربية كالصحراء والشام ومصر ، وهذا لا ينفي وجود أماكن أخرى غير عربية، فإن ذكرت " في معرض الغموض والأسطورة ، كالجزر المسحورة ، وما ينبغي لها ، مثل جبل قاف الذي ابتدعه الخيال العربي الخصيب"21.

ومن جهة أخرى فقد نسبت الليالي إلى الهند، باعتبار الكتاب يحوي ملامح القصص الهندي "فتداخل القصص وطريقة التساؤل (...) وكذلك في الإطار العام الذي تبدأ به ألف ليلة وليلة من خيانة زوجة الملك (شاه زمان) وزوجة أخيه (شهريار)، وحيلة شهرزاد حين ألهمت

الملك حتى لا يقتلها "22، إذ يرى غنيمي هلال أن هذا الإطار وحيلة شهرزاد مستوحاة من الكتاب الهندي المسمى (محيط الأنهار القصصية) أو (كاتاربتساجرا) الذي ضمّ "سبعين قصة تحكيها البيضاء لامرأة سافر زوجها، فأرادت أن تتخذ لها خليلا، فأخذت البيضاء تقص عليها تلك الحكايات في ليالي متتابة، وفي كل ليلة تقطع حكايتها في موضع، بحيث تشتاق المرأة لسماع بقيتها في الليالي التالية، حتى عاد زوجها، وبهذا ألهمت البيضاء المرأة عن خيانة زوجها "23، بالإضافة إلى قصص الحيوان التي تعطي طابعا هنديا.

المميز في كتاب ألف ليلة وليلة هو الأسلوب الفريد الذي اتبعه في المزج بين العوالم الواقعية والخيالية بطريقة ذكية لا تسمح للقارئ أن يشعر بالفارق بينهما، "فالسحر والأعمال الخارقة وعالم الجنات والأرواح في ألف ليلة وليلة قد لعبت دورا كبيرا في ذلك، لكن المهم أن الخارق واللامألوف كان يحكى بكل وضوح وبساطة، وهكذا يستطيع خيال القارئ أن يقف على أرض ثابتة بفضل الخطوط الواضحة وضوحا واقعيًا، "24 فلا وجود للغموض والضبائية، وهو ما كان يناسب ذوق العصر الذي كان شغوبا بأحلام الطفولة السعيدة التي حبسها بين يديه في ألف ليلة وليلة.

ويعمل عبد الملك مرتاض الإقبال على تعلم السحر في مجتمع الليالي، بقوله: "إن قصور العلم يومئذ أحدث فراغا في الذهنية الشرقية التي أقبلت على السحر والغيبيات لتكتمل بما لديها صورة الحياة"25

تعرض ألف ليلة وليلة مغامرات خيالية روتها شهرزاد لشهريار، تحوي أساطير من سحر الأصقاع النائية، والشيء المثير أن هذا السحر كان يرتبط دائما بالحقبة والواقع المجسد، حيث نجحت شهرزاد في خلق عالم خيالي ضمت فيه عجائب مدهشة استمدتها من عدة عوامل في حكيها ساهمت في تطعيم الحكايات بذلك العالم العجائبي المدهش والغريب، والخارج عن المألوف، فقد استعانت شهرزاد بالأساطير وبالجن وبالسحر.

فالسحر يخلق حاجة لتصديق شيء غير قابل للتفسير، كي يجعل الحياة أكثر ملائمة، وعوالم ألف ليلة وليلة العجائبية قائمة في معظمها على السحر باختلاف الوسائل المسخرة لتحقيقه.

الوسائل السحرية العجيبة:

هي وسائل سحرية لجأت إليها شهرزاد لإذكاء البعد العجائبي في قصصها، إذ نجد أن هذه الوسائل متكررة بكثرة في ثنايا الحكايات، حيث لا تأتي القوة السحرية إلا عن طريقها، ويستعان بها كذلك لإحداث الدهشة والانبهار للمتلقى أمام الحدث اللامعقول، ومن أهم هذه الوسائل حضورا في حكايات شهرزاد الخاتم السحري.

1- الخاتم السحري:

ينسب في أغلب الحكايات إلى سيدنا سليمان عليه السلام، ويمثل الخاتم لدى شهرزاد في حكاياتها المفتاح العجيب للقضايا السحرية والقوة الخفية، وغالبا ما تكون عليه أسماء وطلاسم مكتوبة بطريقة معينة وغير مفهومة، وكل من يمتلكه يصل إلى مبتغاه من خلال

المردة الموصولة لخدمة حامله ، وبمجرد فرك حامله على الخاتم يحضر المارد ويلبي طلبه ، ففي حكاية معروف الإسكافي يخاطبه خادم الخاتم بعد فركه : "هل تريد أن تعمر بلدا أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا فأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه فها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فاطلب ما شئت فإني سميع لقولك مطيع لأمرك ، إذا احتجت إلي في أي وقت فادعك الخاتم تجدني عندك"²⁶.

والعجيب إن من يهبه القدر أو الحظ فرصة العثور على هذه الأداة السحرية (الخاتم) عن طريق المصادفة العجيبة أو الممارسات السحرية ، يسخر تلك القدرة في الوصول إلى السلطة كما في حكاية (جودر الصياد) الذي تزوج بنت السلطان (شمس الدولة)، وبعد وفاته تسلطن بعده.

2- القضيب السحري وطاقة الإخفاء:

قد يحل القضيب السحري محل الخاتم في بعض الحكايات ، ويمد صاحبه بقدرات خارقة ، فهو بمثابة عصا موسى التي كانت له فيها مآرب عديدة ، ومن ملكه ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وسخرت الجن جميعها لخدمته ، كما حدث في حكاية (حسن الصانع البصري)، حينما ضرب بالقضيب الأرض فانشقت وخرجت له العفاريت مليية النداء ، لحمايته من الجنية الملكة (نور الهدى) في مملكة الجن ، حيث انتصر عليها على الرغم من قوتها السحرية ، والمثير للعجيب أن تتمكن القوة الإنسانية من التغلب على قوى الجن ، وخرق المألوف وقلب الموازين.

وسيلة أخرى عجيبة استعان بها (حسن البصري) في نفس الحكاية وهي (طاقة الإخفاء) ، فحين يلبسها لم يعد باستطاعة أحد رؤيته ، وأصبح في مقدوره أن يتحرك ، ويتصرف على هواه في أرض الجن ، إلى أن تمكن من فك أسر زوجته الجنية (شمسة) ، من أختها الملكة (نور الهدى)، هذه الوسيلة السحرية التي استوحت منها الروايات العجائبية وسيلة عباءة التخفي التي تتيح للبطل التخفي عن العيون بغية تحقيق مآربه.

تظهر الحكايتين عدم قدرة الإنسان على مجابهة القوى الأكبر منه إلا بمساعدة الوسائل السحرية العجيبة، التي غالبا ما يتحكم فيها الجن ، في هذا الشأن نتحدث العجوز (شواهي) ل(حسن البصري)، قائلة "والله ما كنت أنت وزوجتك وأولادك إلا من الهالكين ، والآن قد نجوت"²⁷ ، والنجاة لم تكن لتتحقق لولا ما توفر لحسن البصري من وسائل سحرية مثل طاقة الإخفاء .

كما أن كل وسيلة من هذه الوسائل السحرية تختص بوظيفة معينة لا تتعدها لغيرها ، فطاقة الإخفاء والقضيب السحري لا يحميان إلى صاحبهما ، والجواب السحري مثلا في حكاية (جودر الصياد) يستخرج منه ما يشاء من ألوان الطعام لكنه لا يستطيع فعل غير ذلك.

يتجلى البعد العجائبي في هذه القصص ، في قدرة الإنسان المخلوق الضعيف ، على التغلب على قوى الجن الخارقة ، والتفوق عليها بوسائله السحرية ، حتى لو كانوا ملوكا أو كبار

السحرة ، وفي هذه الحكايات ما يجسد كرامة الإنسان واستحقاقه للخلافة في الأرض وجدره في أن يكون سيد الكائنات في هذا الوجود .

3- البساط السحري:

ذُكر في القرآن الكريم أن الله قد سخر لسيدنا سليمان عليه السلام الريح تجري بأمره في قوله عز وجل: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب 28) ، فكان عليه السلام إذا أراد أن يركب الريح نشر بساطه عليها ثم يجلس وسطه وزمام الريح بين يديه ، هذا البساط السحري الذي له قدرة سحرية عجيبة على السير فوق الريح ، وفي نقل الأشخاص إلى مسافات خيالية ، وهوما شكل للرواة مادة خصبة لينسجوا حول حكايات عجيبة، "ومن هذه الفكرة ظهرت فكرة طيران البساط في السير الشعبية ، وفي ألف ليلة وليلة أكثر من أداة تطير بذاتها ، أو بالسحر ، أو لأن الجان يقومون بحملها بحكم حصول البطل على أداة تسخر الجان له. 29

ففي حكاية (علاء الدين أبي الشامات) ، يظهر البساط في شكل سرير سحري تُحضره (حسن مريم) في أسلوب سحري مميز حيث تفرك أحد طرفي الخرزة السحرية التي ورثتها من جدتها ، ثم تركب سريرها السحري هي وزوجها علاء الدين وضرتها زبيدة العودية ، ثم قرأت "بحق ما كتب على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسم وعلوم القرآن أن تتفع بنا يا سرير " 30 ، فارتفع بهم السرير لينقلهم في ومضة عين من أرض الروم إلى أرض مصر .

تتابع شهرزاد سرد ظاهرة الطيران السحري العجيبة ، ففي حكاية الحكيم الفارسي الذي يطير بفرسه السحري الذي أهده إلى الملك ، وكان لهذا الفرس قدرة خارقة على التحليق والطيران ، براكبه إلى عنان السماء وأن يوصله إلى أي بلاد أراد، "قد شاع استعمال هذه الأدوات في الحكي العجيب ، نظرا لرصيدها التاريخي وحمولتها الدينية في فعل المعجزات ، حيث يسهل على المتلقي أن ينسى لحظة القراءة ، أن ما يقرؤه هو من قبيل التوهم والخيال ، بسبب ما يشبه تلك الأدوات عند الأنبياء والرسل ، فإذا حصل عليها عامة البشر ، تمكنوا بسهولة من تحقيق كل ما يريدون " 31 .

4- القمقم السحري:

من الأشكال السحرية العجائبية التي تكررت في قصص ألف ليلة وليلة ، هي القمقم الذي يحوي جنا يمتاز بقدرات خارقة ، ويرتبط القمقم في المأثور الشعبي بسيدنا سليمان عليه السلام الذي "حارب الجن الكافرة وحكم على من أدانه منها بالسجن إلى نهاية الكون" 32 ، إذا ما تقاعسوا عن تنفيذ أوامره ، والجن في عمومهم مسخرة لسيدنا سليمان لعمارة الأرض ، ولم يسخرهم لشر ، والعصاة صفدهم وحبسهم في قماقم من نحاس وختمها بالرصاص ورمها في البحر عقابا لهم .

ففي حكاية الصياد والعفريت ، يخرج الجن من القمقم في شكل دخان يجتمع ويتكاثف ليصير عفريتاً رأسه في السحاب ، ورجليه في التراب ، فيخاف الصياد وترتعد فرائسه ، ثم يكشف الجن عن حاله "أنا صخر الجني وقد عصيت سليمان بن داود"³³.

ثم يخبر الجن (صخر)، الصياد عن نفسه وعن سبب حبسه في القمقم بقوله: "فلما رأي سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمان والدخول تحت طاعته فأبيت ، فطاب هذا القمقم ، وحسني فيه ، و ختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الأعظم وأمر الجن فاحتملوني ، ورموني في البحر "³⁴.

5- الخرزة السحرية :

من الوسائل السحرية ذات القدرات العجيبة و المساعدة لأبطال القصص لمواجهة الصعاب ، كما في حكاية (علاء الدين أبي الشامات) إذ تذكر (حسن مريم) ، أن جدتها "كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاما ... وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة وأعلمتني بما فيها من فضائل"³⁵ حيث ساهمت هذه الخرزة في طيران البساط السحري .

6- سحر المسخ :

يسهم الامساخ في خلق العجيب السحري ، كونه ينقل المتلقي من عالم الواقع إلى الخيال ، وغالبا ما يتم المسخ في الليالي بواسطة السحر، الذي يسمح بخلق العجائبي وتدعيمه بوجود كائنات فوق طبيعية والتي تعد بدورها من ثوابت الأدب العجائبي.

وظفت تيمة المسخ بكثرة في متن ألف ليلة وليلة ، وهو تحويل الإنسان إلى حيوان بواسطة السحر ، وحكاية "الصياد والعفريت " زاخرة بهذا النوع من التحولات، فمسخ ابن الشيخ الأول وزوجته إلى عجل وبقرة من طرف زوجته الأخرى " وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة "³⁶ وتمسخ هي الأخرى غزالة .

هذا التحول الخارق لكل النواميس الطبيعية المعهودة لشكل الإنسان وقدراته ، يحدث ارتباكا للمتلقي تجاه هذا الحدث العجيب.

إن هذه الامتساخات التي يتم تصويرها بشكل واع تحمل حمولتها الدلالية والاجتماعية ، فتؤدي وظيفتها الأدبية المتعلقة بتوليد الرعب والتردد لدى القارئ والشخص ذاته³⁷، خاصة أن شهرزاد اتخذت من الحكى العجيب وسيلة لإنقاذ نفسها والفتيات الأخريات من القتل ، وكأنها تبعث بالخوف في روح من الملك من خلال توظيفها لتيمة المسخ.

سافرت شهرزاد في قصصها بشهريار مختلف البقاع والأصقاع، وجابت به البحار والجزر ، متخذة من العجائبي نافذة أطلت بها على العوالم الخيالية ، فكان السحر أيضا مطية ووسيلة لإذكاء ذلك البعد العجائبي ، من خلال استثمار وسائل سحرية مختلفة ساهمت في تحقيق عمل أدبي يضم فيضا من أعمال السحر والشعوذة تروى بأسلوب أدبي شيق.

- 1- ابن منظور ، لسان العرب .تح: عامر أحمد حيدر ، ج1 (مادة ع ج ب) دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان- ط1 2001 ص 616
- 2 بطرس البستاني، محيط المحيط،(مادة ع ج ب) ، مكتبة لبنان : بيروت (د ط) 897 ص 576-
- 3- الخليل الفراهيدي : معجم العين . تح مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي . ج1(مادة ع ج ب) منشورات مؤسسة الأعلمي . لبنان - بيروت ط1، 1985، ص 235 .
- 4 فاطمة الزهراء عطية العجائبية وتشكلها السرد في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات ركن الدين الوهراتي . رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة محمد خيضر بسكرة 2014-2015 ص(10-11)
- 5- كمال أبو ديب ، الأدب العجائبي والعالم الغرائبي في كتاب العظمة وفن السرد العربي ، دار الساقى ط 1 بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص : 8
- 6- الخامسة علاوي ، العجائبية في، الرواية الجزائرية، دار التتوير ، الجزائر ، 2013 ص 39 .
- 7- المرجع السابق ، ص 33 .
- 8- شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، مجلة الكرمل ، فلسطين ع 40-41 1 يوليو 1991 ص 111
- 9- سغمووند فرويد ، الطوطم والتابو، تر/بوعلي ياسين ، دار الحوار ، سوريا ، ط1 ، 1983، ص 98
- 10 عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت 1983، 925-926
- 11 سامية الساعاتي، السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميداني ، بيروت، ط2 ، 1983 ، ص 90
- 12 الخامسة علاوي ، العجائبية في الرواية الجزائرية ، ص 79
- 13 شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ط1، 2009، ص 82
- 14 الخامسة علاوي ، 79
- 15 الخامسة علاوي، العجائبية في الرواية الجزائرية ، ص 135-136
- 16 شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية، ص 82
- 17 المرجع السابق، ص 125-126
- 18 ينظر : شعرية الرواية الفانتاستيكية ، ص 67-68
- 19 أثر شعيب حليفي استخدام مصطلح الفانتاستيك بدل مصطلح العجائبي
- 20 شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، ص 68
- 21 عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة ، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية (دط) ، الجزائر ، 1993 ، ص: 6
- 22 محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 9 ، 2008، ص : 178
- 23 ينظر : محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، ص : 178
- 24 كاترينا موسن ، غوته وألف ليلة وليلة ، تر/أحمد الحمو ، مطابع الإدارة السياسية ، دمشق ، سوريا ، 1980 ص 11
- 25 عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة ، حكاية حمال بغداد والبنات الثلاث ، تحليل تفكيكي سيميائي، ص 56
- 26 ألف ليلة وليلة ، 413/4.
- 27 ألف ليلة وليلة ، 370/4
- 28 القرآن الكريم، سورة ص ، الآية 36
- 29 خالد التوزاني ، أدب العجيب في الثقافتين العربية والغربية ، كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص 89
- 30 ألف ليلة وليلة ، 10/3
- 31 خالد التوزاني ، ص 90
- 32 فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب ، ص 59.
- 33 ألف ليلة وليلة ، 17/1
- 34 ألف ليلة وليلة ، 17/1
- 35 ألف ليلة وليلة ، 9/3
- 36 المصدر السابق، 19/1
- 37 شعيب حليفي ، شعرية الرواية الفانتاستيكية ، ص: 124